

تفسير ابن كثير

وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى
الْجُودِيِّ^ص وَقِيلَ بَعْدًا لِلْمَقُومِ الظَّالِمِينَ

يخبر تعالى أنه لما غرق أهل الأرض إلا أصحاب السفينة ، أمر الأرض أن تبلع ماءها الذي
نبت منها واجتمع عليها ، وأمر السماء أن تقلع عن المطر ، (وغيض الماء) أي : شرع
في النقص ، (وقضي الأمر) أي : فرغ من أهل الأرض قاطبة ، ممن كفر بالله ، لم
يبق منهم ديار ، (واستوت) السفينة بمن فيها (على الجودي) قال مجاهد : وهو جبل
بالجزيرة ، تشامخت الجبال يومئذ من الغرق وتطاوت ، وتواضع هو الله عز وجل ، فلم
يغرق ، وأرست عليه سفينة نوح عليه السلام . وقال قتادة : استوت عليه شهرا حتى نزلوا
منها ، قال قتادة : قد أبقي الله سفينة نوح ، عليه السلام ، على الجودي من أرض
الجزيرة عبرة وآية حتى رآها أوائل هذه الأمة ، وكم من سفينة قد كانت بعدها فهلك ،
وصارت رمادا . وقال الضحاك : الجودي : جبل بالموصل : وقال بعضهم : هو الطور . وقال
ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عمرو بن رافع ، حدثنا محمد بن عبيد ، عن توبة بن

سالم قال : رأيت زر بن حبيش يصلي في الزاوية حين يدخل من أبواب كندة على يمينك
فسأله إنك لكثير الصلاة هاهنا يوم الجمعة ! قال : بلغني أن سفينة نوح أرسدت من هاهنا
.وقال علباء بن أحمر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : كان مع نوح في السفينة ثمانون
رجلا معهم أهلهم ، وإنهم كانوا في السفينة مائة وخمسين يوما ، وإن الله وجه السفينة
إلى مكة فدارت بالبيت أربعين يوما ، ثم وجهها الله إلى الجودي فاستقرت عليه ، فبعث
نوح الغراب ليأتيه بخبر الأرض ، فذهب فوق على الجيف فأبطأ عليه فبعث الحمامة
فأنته بورق الزيتون ، ولطخت رجليها بالطين ، فعرف نوح ، عليه السلام ، أن الماء قد
نضب ، فهبط إلى أسفل الجودي ، فابتنى قرية وسماها ثمانين ، فأصبحوا ذات يوم وقد
تبللت ألسنتهم على ثمانين لغة ، إحداها اللسان العربي . فكان بعضهم لا يفقه كلام بعض
، وكان نوح عليه السلام يعبر عنهم .وقال كعب الأحبار : إن السفينة طافت ما بين
المشرق والمغرب قبل أن تستقر على الجودي .وقال قتادة وغيره : ركبوا في عاشر شهر
رجب فساروا مائة وخمسين واستقرت بهم على الجودي شهرا ، وكان خروجهم من
السفينة في يوم عاشوراء من المحرم . وقد ورد نحو هذا في حديث مرفوع رواه ابن جرير .

وأنهم صاموا يومهم ذاك ، فالله أعلم . وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو جعفر ، حدثنا عبد الصمد بن حبيب الأزدي ، عن أبيه حبيب بن عبد الله ، عن شبيب ، عن أبي هريرة قال : مر النبي - صلى الله عليه وسلم - بأناس من اليهود ، وقد صاموا يوم عاشوراء ، فقال : ما هذا الصوم ؟ قالوا : هذا اليوم الذي نجى الله موسى وبنى إسرائيل من الغرق ، وغرق فيه فرعون ، وهذا يوم استوت فيه السفينة على الجودي ، فصامه نوح وموسى ، عليهما السلام ، شكرا لله عز وجل . فقال النبي ، صلى الله عليه وسلم : " أنا أحق بموسى ، وأحق بصوم هذا اليوم " . فصام ، وقال لأصحابه : " من كان أصبح منكم صائما فليتم صومه ، ومن كان أصاب من غداء أهله ، فليتم بقية يومه " وهذا حديث غريب من هذا الوجه ، ولبعضه شاهد في الصحيح . وقوله : (وقيل بعدا للقوم الظالمين) أي : هلاك وخسار لهم وبعدا من رحمة الله ، فإنهم قد هلكوا عن آخرهم ، فلم يبق لهم بقية . وقد روى الإمام أبو جعفر بن جرير والحبر أبو محمد بن أبي حاتم في تفسيريهما من حديث موسى بن يعقوب الزمعي ، عن قائد مولى عبيد الله بن أبي رافع ، أن إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي ربيعة أخبره : أن عائشة زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - أخبرته : أن النبي - صلى الله عليه وسلم -

وسلم - قال : " لو رحم الله من قوم نوح أحدا لرحم أم الصبي " قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : " كان نوح - عليه السلام - مكث في قومه ألف سنة [إلا خمسين عاما] ، يعني وغرس مائة سنة الشجر ، فعظمت وزهبت كل مذهب ، ثم قطعها ، ثم جعلها سفينة ويمرون عليه ويسخرون منه ويقولون : تعمل سفينة في البر ، فكيف تجري ؟ قال : سوف تعلمون . فلما فرغ ونبع الماء ، وصار في السكك خشيت أم الصبي عليه ، وكانت تحبه حبا شديدا ، فخرجت إلى الجبل ، حتى بلغت ثلثه فلما بلغها الماء [ارتفعت حتى بلغت ثلثيه ، فلما بلغها الماء] خرجت به حتى استوت على الجبل ، فلما بلغ رقبتها رفعته بيديها فغرقا فلو رحم الله منهم أحدا لرحم أم الصبي " . وهذا حديث غريب من هذا الوجه وقد روى عن كعب الأحرار ومجاهد بن جبير قصة هذا الصبي وأمه بنحو من هذا .